الأنوار

الثلاثاء ٢٠ تشرين الأول ١٩٩٢

فراغ امتلأ وعيا

انتظر... افكر... احلل، لماذا الالم تحول دون فكر معقد، يبغي الحلول! كل شيء فارغ... لا يملأ كياني، لا شيء على الارض يستحوذ الاهتمام، هل اضعت السعادة؟!

كرهت الفلسفة، لا اعرف ماذا اريد... عندما اعلم، اقطع نصف الطريق نحو الحل...

خاطبت ذاتي متسائلة:

هل حقا انا تائهة في بحر الفكر اتخبط في الازدواجية؟ ما هي الفكرة التي ينبغي حلها؟

مشاعر تتغلب على الفكر فتأخذ اثمن ما عند الانسان...

ابحث بين لجج الظلمة عن بصيص نور... يهديني الى الطريق القويم، اشعر بكياني يختلط في هيولة ارضية.

انعم بدفء الحياة، وارفض البحث في النور... اسأل: اين النور؟ ادير له ظهري وابحث عنه رافضة الانفتاح على كل جديد... الحل قدم الي على طبق من فضة وانا ابحث في غياهب المادة الزائلة... هل حقا لم اصل الى مستوى الفكر المنشود؟

ماذا افعل كي استحق وجودي؟

ارى ذاتي تحلق في فضاء نفسي، ولكن ماذا اقدم أنا؟

كانت الكأس مرة، حين علمت اني آخذ من الحياة، والمعرفة ولا اعطي شيئا بالمقابل.

حتى ما اعتقدته عطاء، عبر ما املك... ما كان سوى اخذ من رصيد لا حق لي فيه.

ما قيمة وجودي؟ هل هذه هي الحياة على الهامش؟

ايتها الذات، اريني بصيص نور، اطل منه على الحياة!

اعطي من خلاله، اثبت اني جديرة بالحياة، وبالعطاء.

تشرعت منافذ الوعي داخل نفسي، تفهمني ما كنت غافلة عنه وهو مستقر في فجر وعيي تحثني على العطاء، تفهمني الحياة وتدلني على السعادة، وتفسر لي الزمن لأعي المكان عبر المشاركة.

كلمتني عن العطاء، فهو الفعل الذي يميز الانسان عن سائر المخلوقات والويل لمن يجحد بقدسية الحياة وعطائها، لان الحياة ستحرمه نعمة العطاء، ولذة نقل بذرة الحياة الى ابنائه، بل هي ستحرمه الابناء، ولذة رعايتهم ونشأتهم!

فالحياة عطاء، والعطاء شهيق وزفير، فلا نستطيع ان نعطي دون ان نأخذ ولا ان نأخذ دون ان نعطي... بل كيف لنا ان نأخذ نفسا جديدا دون ان نزفر القديم.

- لغز الحياة هو التجدد الدائم... ابتداء من الخلية وتجددها الى الطبيعة في موتها وحياتها، الى المياه في دورتها الى الموت والولادة في استمرارية الحياة.

الحياة مقدسة، فهي نفس الخالق، او نبضة قلبه الذي لا يتوقف... وقانون الحياة يقول:

من يسلب حياة مخلوق، يسلبه مخلوق اخر حياته... ومن يتلذذ باقتناء مخلوق ما، يتلذذ مخلوق ما بالتملك على حياته ومن يحافظ على حياة مخلوق، كائنا من كان، تحافظ على حياته سائر مخلوقات الأرض. أما السعادة فلا تكتمل الا برؤيتها وتنعكس في قلوب الاخرين خاصة حين يكون هؤلاء الاخرون، ابناء في الحياة.

فلا نكون حجر عثرة في سعادة احد.

والانسان لا يختار مصيره بل يصنعه والفارق كبير... ونحن من نصنع السعادة، عندما تكون السعادة شخصية فهي عابرة، لا غبطة دائمة!

ولكن حين نشارك الاخرين لذتهم، نكون حققنا السعادة.

فلن نزرع لذة ونحصد سعادة.

السعادة هي ان نستشف الهناء في نظرات من يأخذ منا.

السعادة في قلب كهل ادى رسالته في الحياة على اكمل وجه،

السعادة في عقل حكيم قد قدم للبشرية ما تحتاجه من علم ومعرفة وخبرة

وتبقى السعادة في نفوسنا ان نحن حافظنا عليها في قلوب الاخرين ونخسرها ان سلبناها من احد ما.

وصدح صوت الذات عبر منافذ الوعي، يخبرني عن الزمن ان تبني وعيك على خلاصة خبرات الاخرين فهو وعي وطموح الى اشمل. لانك بذلك تختصرين الزمن.

فلكل انسان فرصة وعي، بل فرص وعي تقدمها له الحياة عبر الزمن... ولكن الويل لمن يعبث بفرصة..

فالزمن وحدة لا تتجزأ... لكن ضيق الفكر الانساني، وضعف المقدرة الذهنية على استيعاب الزمن كاملا، حدا بالانسان الى تجزئته وتقسيمه... ليتسنى له استيعابه على مراحل...

ومن اعماق اللاوعي يهجع الفهم، ولكن الحكمة في وعي وتطبيق الفهم عمليا، لكن الفهم دون حكمة يبقى نظريا، بانتظار ان يسعى المرء الى ايقاظه وتنميته... ودرجة الفهم المتفتح تشير الى مدى تطور الوعي في الانسان والهدف هو الاكتمال بالمعرفة.

والانسان وحده يتمتع بالفهم وان هو لم يستعمله يضع نفسه في مستوى ادنى من وعي الانسانية... والحكمة لا تكشف نفسها الا لصفوة من الناس اوتوا من صفاء الرؤية ما يمكنهم... وقد رأوا السر... ان ينفذوا اليه ويستضيئون به متخطين بذلك قناع الكون وقشرته التي تقف عندها وتتخبط دون ان تخترقها الغالبية العظمى من الناس... فالقشور مضيعة للوقت، وتبديد للمجهود البشري.

وانطلاقا من ان الانسان خالد اما المكان فهو فان، المكان مادة، والمادة الى زوال. والانسان روح، والروح خالدة مدى الدهر. والوعي الذاتي يكون عبر المشاركة، ما دام الانسان منفتح الذهن مترفعا عن انانيته، ومآربه الشخصية... وصراع الانسان يكون ضد اللاوعي... فالوعي مشاركة، والعلم والمعرفة مشاركة، والسعادة مشاركة... والقيم والمبادىء مشاركة، والقوانين والانظمة والفرح والعطاء، حتى اللهو مشاركة.

فليس الناسك اقرب الى الاله من الذي يشارك شعبه في الامه وافراحه واتراحه.

والمشاركة الحقة هي بين اشخاص يطمحون الى هدف واحد والانسانية في سائر افرادها تشارك في استمرارية الخلق.

دنيز منصور